

مترجمات

في الأدب العربي الحديث

للأستاذ أغناطيوس كراتشقويفسكي

الأستاذ بجامعة ليننجراد

- ٣ -

وهناك محاولات فردية بذلت في سبيل كتابة القصة الاخلاقية (سميد البستاني ويعقوب صروف). والقصة النفسية (فرح أنطون ١٨٧٤-١٩٢٢)، وإن كانت لم تضارع قصص زيدان في مضمار النجاح.

لكن معين القصة التاريخية عند العرب لم ينضب بمدى ما يتضح من قصة «ابنة الملوك» التي وضعها في عام ١٩٢٦ القصصي المصري محمد فريد أبو حديد. وهي من نوع يختلف كل الاختلاف عن قصص زيدان، بل إنها وصلت من بعض الوجوه الى مستوى أعلى.

أما الأقبوسفة فقدمت رأيت النور في مصر بخلاف القصة التاريخية، ولا بأس من ذكر المحاولات التي بذلت في سوريا، ولكن ما كتب هناك من الأقبوسفة كان قاصراً على طبقة البعثيين. فقد شرع جبران خليل جبران وهو في شرح الشباب في كتابة الأقبوسفة على سبيل التمرن، لكنه لم يمد الى ممارسة هذا النوع من الكتابة. أضف الى ذلك أن المجال لم يفتح لهذا النوع الجديد في مصر إلا ببطء كبير. ولقد حاول الجيل القديم أن يستعمل أسلوب المقامات في النقد الاجتماعي، كحديث عيسى ابن هشام لحمد اللولحي التتري في عام ١٩٣٠، وهو ابن الصحنى التابه ابراهيم اللولحي (١٨٤٦ - ١٩٠٦). أما المحاولات الأخرى (عائشة التيمورية ومحمد حافظ ابراهيم) فقد كانت أقل توفيقاً. وهناك مؤلف معروف جرت حفظه في الأقبوسفة، هو المنفلوطي، وكانت أقبوسفته تارة موضوعية، وتارة أخرى منقولة بتصرف، لكن كتابته امتازت بمجال التتميق وسلامة

الأسلوب دون دقة الموضوع أو البراعة القصصية. أما محمد تيمور الذي توفي في شرح الشباب (١٨٩٢-١٩٢١) فيمكننا أن نعدده من مشى الأقبوسفة المصرية ومبتكر التصوير الواقعي للحياة الاجتماعية الحديثة. فقد كان ملماً كل الأسام بالأداب الأوربية، قوى الملاحظة، دقيقاً. فوضع أقبوسفة صغيرة مأخوذة من صميم الحياة المصرية، بأسلوب يحاكي أسلوب موباسان أو تشيكوف تحت هذا العنوان «مآثر الميون»

وتقدمت الأقبوسفة خطوات إلى الأمام في مؤلفات شقيقه محمود تيمور (المولود في سنة ١٨٩٤) وهي مجموعة في ستة مجلدات^(١). وأقبوسفة محمود تيمور واقعية كأقبوسفة شقيقه محمد، لكنها أكثر تنوعاً، وأعمق تحليلاً، وأفصح لغة، وأسهل أسلوباً.

وقد أثر فن التيموريين القصصي تأثيراً كبيراً في جيل الكتاب المعاصرين، ولندكر منهم: أخوى عبيد، المرحوم عيسى عبيد التتوي عام ١٩٢٤، الذي وضع مجموعتي «إحسان هاتم وزيبا»، وشحاته عبيد الذي كتب «درس مؤلم»، وطاهر لاشين مؤلف «سخرية الناي»، ويحكى أن... وحواء بلا آدم. وهي مجموعة قصصية امتازت بالطلاوة والتمكاهة، ومحمد أمين حسونه مؤلف «الورد الأبيض»

ومن المميزات الجديدة بالملاحظة أن هذا النوع من الأدب وجد أنصاراً مخلصين في البلاد العربية، وجلبها تأثرت بمصر إلى مدى بعيد.

وفي العراق كاتبان ذاعت شهرتهما إلى ما وراء وطنهما هما: محمود أحمد (المولود في سنة ١٩٠١)، وقد وضع قصة طويلة بعنوان «خالد»، ومجموعة باسم «الطلائع» وأخرى موسومة «في ساع من الزمن»، والقصصي العراقي الثاني هو أنور شاذول الذي كتب مجموعة «الحصاد الأول»

ولقد ظهرت الأقبوسفة العربية في أمريكا «الهجر» في الوقت الذي ظهرت فيه في مصر، وربما قبل ذلك، ولندكر أولاً عبد المسيح حداد الذي كتب أقبوسفة صغيرة كلها فكاهة

(١) بلغت مجموعة محمود تيمور القصصية إلى الآن ثمانية مجلدات وهي: الشيخ جمعة، وعم منقول، والحاج شلي، والشيخ سيدالسيوط، ورجب أفندي وأبو علي حامل ارتست، والأطلال، والشيخ هنا الله (للتترجم)

ح - المسرحية (الدرامية)

لم تبت المسرحية العربية الجديدة من أصول محلية ، شأنها في ذلك شأن القصة (فهي لم تأخذ شيئاً من القامة أو القراقوز أو أبرار الدين الشيبى) . وقد شاع فن التمثيل بين الطلبة بفضل الحفلات السنوية التي كانت تقيمها المدارس الأوربية ، واعتاد المدرسون أن يضعوا بأنفسهم المسرحيات التي يقوم الطلبة بتمثيلها إذ كانوا يختارون موضوعاتها من التوراة أو من التاريخ اليوناني والروماني القديم « الكلاسيك » ، وأخيراً من ماضي العرب

لم يقتصر المسيحيون وحدهم على توجيه عبقريتهم نحو هذا النوع ، بل اشترك معهم المسلمون . ففي سوريا ، كتب إبراهيم الأحمد مسرحيتي « اسكندر المقدوني » و « ابن زيدون الأندلسي » ، ووصل فن المسرحيات الهزلية الأخلاقية إلى نتائج جديدة بالثناء منذ أوائل عهد النهضة الأدبية ، بفضل التأثير الأوربي ، فقد زار الكاتب السوري مارون نقاش (١٨١٧ - ١٨٥٥) إيطاليا عدة مرات ، واطلع على مؤلفات مولير ودرس حالة المسرح الايطالي الجديد . وما إن عاد إلى وطنه حتى شرع في كتابة ثلاث مسرحيات هزلية على أسلوب مولير ، وعهد بتمثيلها إلى فرقة من الهواة ، وفي اثنتين منهما صور المؤلف الحياة السورية الحالية . أما الثالثة فهي مقتبسة عن « ألف ليلة وليلة » ، وقد نالت تلك المسرحيات بعض النجاح ، لكن بمد وفاة المؤلف وهو في ريمان الشباب ، لم يحاول أحد أن يسير على خطه ، اللهم إلا في بعض المسرحيات الهزلية الصغيرة التي وضعها طنوس الحر (عام ١٨٦٠) فإنها لم تصادف من النجاح إلا القليل وبعد مضي عشرين سنة ألف الكاتب السوري أديب اسحاق (١٨٥٦ - ١٨٨٥) فرقة تمثيلية صغيرة بمدينة الإسكندرية ، وهو شقيق سليم النقاش المتوفى عام ١٨٨٤ ، وأنجحت البيول وقتئذ شيئاً فشيئاً إلى الأساة شبه الكلاسيكية . وكان أغلب أنصار هذه النزعة من رجال حلقة اليازجي والبستاني وأول ما ظهر من المآسي « الرودة والوفاء » ، لخليل اليازجي (١٨٥٦ - ١٨٨٩) ، وهي قطعة شعرية مستقاة من حادث معروف في أساطير الأدب الجاهل . وبعبارة نجيب حنّاد

بمنوان « حكايات المهجر » وهي تكاد تكون صوراً سريعة للحياة العربية في أمريكا ، وقد أخذ المؤلف كثيراً من روح أقصوصات جبران ، وهناك أيضاً ميخائيل نعيمة الذي خصص في أقصوصته النفسية مجالاً واسعاً لتحليل الروح تحليلاً عميقاً ، متأزراً بالأدب الروسي في القرن التاسع عشر

إذا استطننا القول بأن الأقصوصة العربية الجديدة وجدت أمامها الطريق اللائق بتقدمها وازدهارها حتى بلغت السكّانة الجديدة بها ، فإن القصة لم تصل إلى هذا المدى من النشاط ، وكل ما رأيناه في هذا المضار هو بعض محاولات طفيفة وقد استهل هذا النشاط بقصة « زينب » ، وهي قصة طويلة وضعها في عام ١٩١٤ محمد حسين هيكل بك الذي أصبح فيما بعد صحفياً وأديباً نابهاً ، وموضوعها منقول عن الحياة الريفية في مصر . أما من حيث اللغة والأسلوب وطريقة الكتابة فقد فتحت فتحاً جديداً ، إذ امتازت القصة بأسلوبها الطبيعي الخالي من الصناعة والتكلف ، لكنها رغم ذلك لم تلفت الأنظار في بدء ظهورها

ووضع الدكتور طه حسين (المولود في سنة ١٨٨٩) قصة دعاها « الأيام » في عام ١٩٢٧ ، وسار فيها على أسلوب الأخبار الماثلية ، وهي تصف طفولة صبي مصري يافع ، عاش في قرية صغيرة على ضفاف النيل ، والقصة جديدة حقاً بالتقدير ، لا من حيث الوصف المحي للحياة الواقعة فحسب ، بل كؤلّف أدبي من الطراز الأول في اللغة والأسلوب وطريقة الرواية أما مجموعة القصص الثلاث لتوفيق الحكيم فقد رحمت لها خطة واسعة النطاق ، ولم ينشر منها حتى الآن سوى القسم الأوسط « عودة الروح » في جزئين (كتبنا في سنة ١٩٢٧ ونشرنا في سنة ١٩٣٣) ، وقد خصص هذا القسم للحوادث التي توالى على مصر ابتداء من عام ١٩٢٠

وكان لظهور توفيق الحكيم في سماء الأدب أحسن وقع لما امتاز به من التعمق في الفن الروائي ، وبراعة الوضع ، وسلاسة اللغة ؛ وهذه الأمثلة تحملنا على أجنحة الأمل وتدفعنا إلى الاعتقاد الجازم بأن القصة ستحل قريباً محل اللائق بها في الأدب العربي الحديث

ومسرحيات تيمور تتماز بالروح القوي ، وتراه يدب فيها بفضل استعماله اللغة المصرية الدارجة ، كما أن صفاتها المسرحية العظيمة جديرة بالتسجيل ، ولا شك أنها في مقدمة المسرحيات المعبرة عن الحياة المصرية ، وهذا من أقوى البواعث التي يذرى إليها نجاحها

وفيما عدا هذه المسرحيات ، فقد نجح ميخائيل نعيمة في المهجر ، وفي وضع مسرحية هزلية أخلاقية ، امتازت بما فيها من التحليلات النفسية الاخلاقية الرائعة ؛ هي رواية « آباء وأبناء » — ١٩١٧ — ووقائعها مأخوذة عن الحياة السورية المصرية ، وخصصت المقدمة لمسائل مبدئية ، مما يدل على اهتمام المؤلف اهتماما جديا بالمشاكل التي يثيرها التأليف المسرحي ، ولا ريب في أن هذه الجهود تعد فاتحة خير للفن المسرحي العربي

والمسرحيات المصرية التي وضعا أنظون يربك (خصوصا الذبائح) المكتوبة باللهجة العامية ، تدل على تقدم مطرد بالنسبة لما قبلها . وقبيل عام ١٩٣٠ حاول الشاعر الكبير أحمد شوقي بك أن يعيد الى التراجيدية شبه الكلاسيكية رونقها وبهاءها ، فخلف بمد وقائه عددا من المسرحيات الشعرية المنقولة عن التاريخ المصري القديم أو تاريخ العرب ^(١) ونجحت هذه المسرحيات نجاحا باهرا بفضل تناسق روحها الشعرية الجميلة المكتوبة بأسلوب عربي قديم صحيح « كلاسيك » فجاءت مطابقة لذوق الجيل الحالي ، وإن كانت لا تعد تقدما في تاريخ المسرح العربي

(يضع) ترجمة محمد أمين حسنة

(١) هي : كلبواترا وقيز وعلى بك ومجنون ليلى وأميرة الأختلس

(١٨٦٧ — ١٨٩٩) من أغزر الكتاب المسرحيين في هذا العهد إنتاجا ، فقد ترك ست عشرة رواية مسرحية ، أغلبها منقول بتصرف عن مؤلفات كورني وفيكنتور هيجو واسكندر دوماس وشكسبير ، لكنه ليس من السهل غالباً العثور على الأصل . وكتب أيضاً بعض تراجيديات من وضعه ، وهي لا تختلف عن سابقتها في النوع ، نذكر منها « صلاح الدين » و « ثارات العرب » . ونالت مسرحيات حداد إعجاب الجمهور إذ ظل يتذوقها ويفضها على سائر المسرحيات العربية حتى نشوب الحرب المظلمى ، وإن كان الأوربيون يعتبرونها فطرية وغير متناسقة مع حاجات المسرح

وحاول الكاتب المصري محمد عثمان جلال (١٨٢٩ — ١٨٩٨) أن ينفث روحاً جديدة في المسرحية الهزلية الأخلاقية ، وفيما عدا ترجمته لمسرحيات راسين وكورني إلى اللغة العربية الفصحى ، عزم هذا الكاتب على تنفيذ فكرة جريئة ، هي نقل مؤلفات مولير إلى اللهجة المصرية العامية مع مراعاة الأحوال الأخلاقية المصرية لسنا ننكر أن محاولته تدل على مهارة فائقة وعبقورية فاضحة ، ولكن اللهجة العامية كانت غريبة على المسرح الذي لم يألفها ، ولذا لم تمثل مسرحياته إلا في سنة ١٩١٢

تلك هي أم البواعث التي يذرى إليها قصور التأليف المسرحي العربي على النوع شبه الكلاسيكي لما جاءت سنة ١٩٢٠ كانت بعض الروايات مترجمة وبعضها موضوعة على طريقة نجيب حداد ، الذي كان قد أفسح المجال لعدة مؤلفين قديرين نسجوا على منواله . أما بعد سنة ١٩٢٠ فقد بدأ عهد جديد للأدب المسرحي في مصر بفضل جهود محمد تيمور الذي تحدثنا عنه في صدر هذا المقال

كان الفن المسرحي موضع عنايته الخاصة ، وطالما كتب عن المسائل الخاصة بنظريات الفن المسرحي وتاريخه ، كما أنه وضع عدة منولوجات لائقها على المسرح ، وقد ترك أربع روايات مسرحية : روايتين هزليتين ، ودرامة وأوبريت ^(١) . أما حوادثها فتجري كلها في مصر الحديثة ، عدا الأخيرة فهي مقتبسة عن مصر في عهد المماليك

(١) هي : المصنور في القفس ، والهاوية ، وعبد النار اتسدى ، والمعرة الطيبة (الترجم)

ظهرت الطبعة الجريزة لكتاب

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئتين

ترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن إدارة « الرسالة »

والتمن ١٢ قرشاً